اللغة العربية في اللسانيات الغربية:
دراسة في جهود اللسانيين العرب بين التأصيل والتكميل

د. عبد الناصر درغوم * [1]
[1] مخبر الدراسات اللغوية والأدبية ، جامعة 8 ماي 1945 قالمة ،
derghoum.abdennassir@univ-guelma.dz

الإرسال: 2025/08/05 القبول:2025/12/21 النشر: 2026/06/01.

الملخص:
مثّلت اللغة العربية منذ العصور الأولى رافدًا أساسًا لتطور العلوم والمعارف ، غير أن حضورها في الحقول اللسانية الحديثة ، خصوصًا في اللسانيات الغربية ، ظلّ موضع مساءلة. وتنطلق هذه الدراسة من إشكالية رئيسة مفادها: ما مدى حضور اللغة العربية في البحث اللساني الغربي؟ وكيف تجلّى هذا الحضور في جهود اللسانيين العرب ومنجزاتهم؟ ويهدف البحث إلى رصد هذا الحضور من خلال تصنيف جهود اللسانيين العرب إلى جهود تأصيلية تؤسس لنظريات مستقلة تنبع من التراث ، وجهود تكميلية تشتغل داخل النظريات الغربية الكبرى. وباعتماد المنهج الوصفي وآليات المقارنة والتحليل خلصنا إلى أن اللغة العربية لا تزال فاعلة في المشهد اللساني العالمي ، سواء من خلال محاولات تجديد النظريات التراثية كما في النظرية الخليلية الحديثة ، أو عبر التفاعل النقدي مع النظريات الغربية كالنحو التوليدي والوظيفي ، مما يجعلها لغة قادرة على الإسهام في بناء المعرفة اللسانية المعاصرة.
الكلمات المفاتيح: اللغة العربية ، اللسانيات الغربية ، التأصيل ، التكميل ، اللسانيون العرب.

* **المؤلف المرسل.**

The Arabic Language in Western Linguistics: A Study of the Efforts and Achievements of Arab Linguists between Rooting and Complementation

Abstract: The Arabic language has historically contributed to the development of linguistic thought, and despite its diminished presence in modern scientific contexts, it continues to play a role in contemporary linguistics. This study examines the presence of Arabic in Western linguistic discourse by analyzing key contributions of Arab linguists. Their efforts are categorized into two types: rooting, which builds linguistic theory based on Arabic heritage, and complementation, which engages critically with Western theories. The findings suggest that Arabic remains a dynamic and relevant linguistic source capable of enriching global linguistic research.

Key words: Arabic language; Western linguistics; Arab linguists; linguistic theorization; rooting and complementation.

1-مقدمة:

لقد أسهمت اللغة العربية ، بحكم قِدمها وسعة تراثها ، في بلورة كثير من المفاهيم العلمية والمعرفية ، وكان لها دور بارز في تأسيس علوم اللغة وضبط مناهجها منذ قرون مبكرة ، غير أن التحولات الحضارية التي طرأت على العالم العربي ، وما رافقها من تراجع علمي وثقافي ، أفضت إلى تقلّص الحضور العربي في ميادين البحث اللساني المعاصر ، لا سيما في الفضاءات اللسانية الغربية التي أصبحت تُنتج المعرفة اللسانية من داخل مناهجها ونظرياتها الخاصة. ومع ذلك ، لم يغب أثر العربية تمامًا عن هذا الفضاء ؛ إذ نجد في العقود الأخيرة عددًا من اللسانيين العرب الذين سعوا إلى تثبيت حضورها العلمي ، سواء من خلال تأصيل اللسانيات العربية ضمن أطر منهجية جديدة تنبع من التراث ، أو عبر الانخراط في مشاريع لسانية غربية يقدّمون فيها إضافات نظرية وإجرائية تنطلق من خصوصية اللغة العربية.

وتنطلق هذه الدراسة من الإشكالية التالية: ما مدى حضور اللغة العربية في البحث اللساني الغربي ؟ وكيف تجلّى هذا الحضور في جهود اللسانيين العرب ومنجزاتهم ؟

وانطلاقًا من هذه الإشكالية ، نفترض:

1. أن فئة من اللسانيين العرب عملت على بلورة نظريات لسانية أصيلة ، ذات مرجعية تراثية ، يمكن تصنيفها ضمن الجهود التأصيلية.
2. أن فئة أخرى اشتغلت داخل الإطار النظري اللساني الغربي ، وأسهمت في تطويره أو إعادة صياغة بعض مفاهيمه بما يتلاءم مع خصائص اللغة العربية ، وهي ما يمكن عدّه من قبيل الجهود التكميلية.

بناءً على ذلك ، تهدف هذه الدراسة إلى:

- تصنيف جهود اللسانيين العرب بحسب طبيعة إسهاماتهم في الدرس اللساني الغربي.
- إبراز المعالم النظرية والمنهجية التي تقوم عليها هذه الجهود.
- الوقوف على القيمة العلمية التي قدّمتها هذه الإسهامات للدرس اللساني ؛ عربيًا وغربيًا.
- تقويم مدى قدرتها على تجديد الخطاب اللساني العربي المعاصر.

ولتحقيق هذه الأهداف ، اعتمدنا المنهج الوصفي ، مستفيدين من آليات التحليل والمقارنة ، بغرض رصد أهم النماذج التي مثّلت هذين الاتجاهين ، وتحليل مضامينها ، واستجلاء أثرها في توسيع آفاق البحث اللساني المتعلق باللغة العربية داخل الأطر الغربية.

2-الجهود العربية التأصيلية في اللسانيات الغربية:

تقتضي القراءة الموضوعية لحضور اللغة العربية في اللسانيات الغربية التمييز بين أنماط الإسهام التي قدّمها اللّسانيون العرب ، إذ يظهر أن بعض هذه الجهود تتسم بطابع تأصيلي واضح ، من حيث اعتمادها على المنجز العربي القديم ، واستثمارها للمعطيات التراثية في بلورة نظريات لسانية جديدة ، ذات مرجعية عربية ، تُقدَّم اليوم ضمن النقاش اللساني العالمي.

ونقصد بـ "الجهود التأصيلية" في هذا السياق تلك المحاولات التي لا تكتفي بإعادة قراءة التراث اللساني العربي فحسب ، بل تعمل على تأهيله ليكون منطلقًا لتأسيس نظرية لسانية معاصرة ، متكاملة في منطلقاتها المعرفية وأدواتها المنهجية. وتمثّل هذه الجهود امتدادًا علميًّا لمدرسة اجتهادية تسعى إلى تأصيل الدرس اللساني العربي بمنظور جديد ، يراهن على إحياء الطرح الأصيل ، وتجديد النظر في قضاياه ، وتقديمه كبديل معرفي قادر على التفاعل مع السياق اللساني العالمي.

وفي هذا السياق ، نعرض لنموذجين بارزين: عبد الرحمن الحاج صالح من خلال "النظرية الخليلية الحديثة" ، ومحمد الأوراغي عبر مشروعه الموسوم بـ "اللسانيات النسبية".

2-1-جهود عبد الرحمن الحاج صالح في إطار النظرية الخليلية الحديثة:

تعد النظرية الخليلية الحديثة إحدى أهم النظريات اللسانية العربية الخالصة ، وهي - كما يوحي اسمها- تنبني على نظرية أولى هي نظرية النحو العربي عند الخليل وأتباعه ، فهي "في الحقيقة نظرية ثانية (métathéorie) بالنسبة للنظرية الخليلية"[1].

ويعدّ عبد الرحمن الحاج صالح المؤسس لهذه النظرية ورائدها الأول (والأوحد) بامتياز ، ويعلل سبب تسميتها بالحديثة "لأنها تمثل اجتهادا علميا تقويميا صدر في زماننا أدّى إلى قراءة جديدة لما تركه الخليل بن أحمد الفراهيدي وتلميذه سيبويه خاصة ، وجميع من جاء بعدهما من النحاة الذين اعتمدوا في بحوثهم على كتاب سيبويه إلى غاية القرن الرابع كشروح كتاب سيبويه وغيرها ، أضف إلى ذلك البحوث التي كتبها بعض العباقرة من العلماء كالسهيليّ وعبد القاهر الجرجاني والرضيّ الاستراباذي وغيرهم"[2].

ويتبين من كلام الحاج صالح السابق عدة مؤشرات تدل على أصالة النظرية ، منها:

- **أنها اجتهاد علمي:**

فطبيعة عمل الحاج صالح في هذه النظرية يندرج تحت باب الاجتهاد ، وهو في تصورنا أقرب إلى النهج الأصولي في اعتبار شروط الاجتهاد وصفات المجتهد ، وقد كتب الله له فيه التوفيق والقبول كما تشهد به الأدبيات اللسانية في شتى أقطار العالم ، حتى أن ابتداء التسمية كان من مؤيدي النظرية قبل مؤسسها ، إذ يقول: "وهي تسمية أطلقها بعض الإخوان من خارج الجزائر ، وهي تشرفنا"[3].

- **أنها قراءة جديدة تقويمية:**

فالقراءة التي قام بها الحاج صالح لتراث الخليل ومن تبعه ليست قراءة تقليد أو نقل محض كما هي سمة أكثر الكتابات النحوية قديما وحديثا ، بل هي قراءة نقدية تقويمية ، تفيد من القديم المحقق لشرط الأصالة بآليات البحث الحديثة ، وقد كان يقرر عن نفسه بأنه ليس تراثيا ولا حداثيا ، بل يعتبر نفسه مقتفيا أثر الحكمة ، فأينما وجدها كان أحق بها ، سواء في كتب العلماء القدماء وما أكثر غير المكتشف فيها ، أو في كتب المحدثين فيما أبدعوه من أفكار ، ونظريات ، ومنهجيات.

- **أنها صادرة في الزمان الحاضر مستغرقة لما كتب في الزمان الماضي:**

فأما وجودها الحضوري فظاهر ، من حيث ارتباط النظرية بمؤسسها وجودًا وتطورًا ، وفضلا عن ذلك فهي نظرية معاصرة إذما قارناها بنظيراتها من النظريات اللسانية المعاصرة ؛ فهي لا تقل شأنا عنها ، بل توازيها بل هي "أجود وأحسن ، وهذا ليس تعصبا وإنما هي حقيقة أثبتها البحث النزيه"[4].

وأما نزعتها الاستغراقية فهي متأتية من منهج البحث الذي اعتمده الحاج صالح في استقراء التراث ؛ إذ لم يكتف بما قاله الخليل ونقله وزاده سيبويه فحسب كما قد يوهمه اسم النظرية ، بل تعدى نطاق البحث إلى أعمال نحاة ولغويين كبار متأخرين في الظهور الزمني ، سابقين في الحضور العلمي ، ومن أعلامهم: "السهيلي ، والجرجاني ، والاستراباذي ، والرمّاني ، ابن جني"[5].

فهذه المؤشرات -وغيرها كثير- يدل على أصالة هذه النظرية وجدة الطرح الذي تقدمه ؛ وهي وإن كانت منبنية على نظرية الخليل إلا إنها تقدم من الإضافة والتحديث ما يؤهلها لتكون نظرية جديرة بالعناية والاهتمام.

2-2-جهود محمد الأوراغي في إطار اللسانيات النسبية:

تعرّض الأوراغي في كتابه "نظرية اللسانيات النسبية" إلى تقديم مفهوم شامل عن نظريته ؛ فقال: "اللسانيات النسبية نظرية لغوية تؤسسها فرضية مراسية تفيد أن اللغات البشرية ملكات صناعية كسبية [...] مما يجعل من اللسانيات النسبية نظرية لأنحاء نمطية. نظرية تكون جميع توقعاتها اللسانية نمطية ، أو تتوقع لكل الأنماط اللغوية القواعد النحوية المناسبة"[6].

نستطيع أن نلمح من هذا المفهوم بعض الإشارات المحددة للأطر الإبستمولوجية للنظرية ، منها تركيز الأوراغي على الطبيعة المراسية للفرضيات التي تقوم عليها نظريته ، ويعني بهذا المصطلح أن فرضيات النظرية مرتبطة بالواقع في مقابل نوع النظريات التي تبنى إما على فرضيات اعتباطية ، أو لا تحيل على شيء في المحيط الخارجي[7].

وتتجلى الإشارة الثانية من اعتباره اللغة ملكة صناعية ؛ مما "يترتب عليه أن تكون موضوعة بالاختيار. وما هو كذلك يجب أن يكون مختلفا في حدود ما تسمح به الإمكانات الاختيارية" ، وهذا ظاهر في منطق العقل ؛ إذ لابد من تخيير قبل الاختيار ، وإلا لما كانت محل صناعة وتقويم.[8]

وأما الإشارة الأخيرة فتتعلق بتقريره أن اللغة كسبية لا فطرية كما زعمه بعضهم.. ويدعم هذا الرأي ما نراه في جهاز الاكتساب اللغوي عند الإنسان ؛ فهو مهيأ بأصل خلقته لاكتساب اللغة والانصياغ والتشكل بتأثير منها ؛ فينتج عن ذلك قدرته على الكلام بتلك اللغة[9].

ويؤكد الأوراغي على جدة الطرح الذي يقدمه مع وعيه بالصعوبة التي تحفه وضعا وتلقيا ، حيث يقول: "إن تقديم نظرية لسانية جديدة للسانيين لا يقل صعوبة عن تقريب أخرى مألوفة من غير المتخصصين ، وهذه الصعوبة قد تكون مركبة إذا كان المستهدف جمهور المثقفين ، وكانت النظرية موضوع التعريف جديدة ، وواضعها منتميا إلى حضارة توقف أهلها عن المشاركة في إنتاج المعرفة منذ قرون ، ورهنوا نهضتهم بإجادة التلمذة على الآخرين"[10].

ثم هو مع تأكيده لجدة الطرح فإنه يسوغه بقوة الداعي إليه في ظل غياب نظرية متكاملة نظريا ومنهجيا وإجرائيا ، بحيث تستطيع "حل الكثير من مشاكل اللغات البشرية التي ظلت إلى الآن مستعصية على الجميع"[11].

ويحدد ملامح هذه المشاكل المستعصية التي استحالت أزمة بقوله "لقد ظهرت الحاجة الملحة إلى ضرورة الخروج من الأزمة الفكرية التي عمت اللسانيات كافة والعربية خاصة. أزمة سببها المباشر منهجي يتلخص في الاستقراء المطلقة [كذا][12] ، كما يمارس في اللسانيات الخاصة ، ويولد فيها معرفة عادية متميزة بكثرة الخلاف ، وانتشار الهفوات ، وضعف الكفايتين الوصفية والتفسيرية"[13].

فهو هنا يلخص جملة الانتقادات التي وجهت للنظرية اللغوية العربية كما قدمها الخليل وتلميذه سيبويه ، ثم ينتقل لتبيان أوجه القصور في النظرية اللسانية الحديثة ممثلة في نظرية النحو التوليدي التحويلي حيث يرى سبب أزمتها يتثمل في "الفرض الاعتباطي والبرهان الرياضي ، كما يستعمل في اللسانيات الكلية ، ويولد فيها معرفة نظرية يغلب عليها اليقين الرياضي ؛ فتسمح بالتعميمات الجزافية لتعدية الخصائص البنيوي [كذا][14] للغة إلى غيرها ، وبتوسيع إطار اللغات الشجرية ليستغرق اللغات التوليفية ، والعكس ممنوع بقرار من صاحب النظرية"[15].

وبعد أن بين ما في التوجهين اللسانيين السابقين من قصور عرض لبيان فضل اللسانيات النسبية ، وكيف أنها تهدف لتجاوز الهنات التي وقعت فيها النماذج المتجاوزة السابقة فيقول: "ولتخطي أزمة اللسانيات خاصّها القديم ، وعامّها الجديد ، لا يتحقق بغير استحداث محور استبدالي يؤسس للسانيات نسبية ، تقوم على فرضية عمل كسبية ، هذه

الفرضية تفيد في مجال علم النفس المعرفي أن الملكات الذهنية في بدء وجودها برامج فطرية للتثبيت والتوليد. برامج مهيأة خلقة لأن تثبت في ذاتها بنية الكون الوجودي المنتظم على وجه كلي ، فتكتسب من أولياته المعروفة القدرة على استنباط تواليها"[16].

هكذا يقدم الأوراغي نظريته عن اللسانيات النسبية بعدما حدد أوجه القصور والخلل في النماذج اللسانية الحالية ، سواء القديمة منها في النظرية اللغوية العربية ، أو النظرية اللسانية الحديثة مع تشومسكي (Chomsky) في نظريته التوليدية التحويلية ، وبعد ضبطه للأطر الإبستمولوجية لنظريته ها هو يقدمها كحل بديل يقوم على ما موجود في الواقع لا في الافتراض ، ويقدم معرفة علمية لا مجرد نظريات فلسفية ، وقد حرصنا في هذه النبذة على الاكتفاء بأقواله والتركيز على عبارته لما نراه من جدّة وجدّيّة في هذا الطرح الذي لم نجد له - فيما وسعه استقراؤنا- تثمينا ولا احتفاءً.

3-الجهود العربية التكميلية في اللسانيات الغربية:

برز -في مقابل الاتجاه التأصيلي- اتجاه آخر في أوساط اللسانيين العرب ، يمكن وصفه بالتكميلي ، وهو يتأسس على التفاعل النقدي الخلاق مع النظريات اللسانية الغربية ، من خلال الاشتغال داخل منظوماتها النظرية ، والمساهمة في تطوير مفاهيمها ، وتكييف أدواتها مع خصوصيات اللغة العربية.

ونقصد بـ "الجهود التكميلية" في هذا السياق تلك الأعمال التي لم تنشأ من منطلق تأصيل داخلي ، بل اتخذت من النظريات الغربية الكبرى مجالًا للتفكير والتطبيق ، مع سعي واضح إلى تجاوز التلقّي السلبي ، والانخراط الواعي في تطوير هذه النظريات ، سواء عبر توسيع مجالاتها التطبيقية ، أو عبر مراجعة بعض مرتكزاتها بالاستناد إلى معطيات اللغة العربية.

ويمثل هذا التوجّه علامة على نضج الدرس اللساني العربي الحديث ، بما هو قادر على التفاعل مع المنجز الغربي من موقع الشريك في بناء المعرفة ، لا مجرد المتلقي المستهلك لها ، وتُجسّد جهود كل من عبد القادر الفاسي الفهري ضمن إطار اللسانيات التوليدية ، وأحمد المتوكل في سياق اللسانيات الوظيفية ، نموذجين واضحين لهذا التوجّه.

3-1-جهود عبد القادر الفاسي الفهري في إطار اللسانيات التوليدية التحويلية:

تعد اللسانيات التوليدية التحويلية إحدى أهم النظريات اللسانية الحديثة ، وقد شهدت عدة تعديلات في نموذجها النظري من طرف مؤسسها نوام تشومسكي منذ أول نموذج (البنى التركيبية) سنة 1957م ، إلى آخر نموذج وهو (البرنامج الأدنويّ) سنة 1994م.

وقد تلقى اللسانيون العرب هذه النظرية بحفاوة واهتمام ، غير إن أكثرهم دراسة للنظرية وإثراءً لموضوعاتها هو اللساني المغربي عبد القادر الفاسي الفهري ، الذي تصنف جهوده في هذا المجال ضمن المحاولات التوليدية الكلية كما يقول حافظ إسماعيلي علوي ، وذلك راجع إلى "مواكبتها المستمرة للتطورات المتلاحقة التي عرفتها النماذج التوليدية ، مع تحديث الآلة الواصفة لمعطيات اللغة العربية ، والانخراط في مستجدات الأسئلة التي أفرزها الخطاب اللساني العربي المعاصر ، والتوليدي منه بشكل خاص"[17].

ولعل من أبرز خصائص القراءة اللسانية للفهري أنها لم تكن قراءة سلبية جامدة ، قائمة على النقل المجرد من أي مراجعة أو نقد أو إضافة ، بل على العكس من ذلك ؛ فقد "استطاع بفضل انفتاحه الكبير على اللسانيات التوليدية أن يفيد كثيرا في إعادة النظر في كثير من القضايا في اللغة العربية ، بل الأكثر من ذلك إعادة النظر وتصحيح بعض الأفكار والآراء التي قدمها (تشومسكي) في إطار مدرسته التوليدية [...] إن التجديد والإبداع من أهم السمات التي تميزت به [كذا] أبحاث (الفاسي الفهري) ، إذ لم يكتف بترديد أفكار (تشومسكي) فقط ، بقدر ما حاول الاستفادة منها في خدمة اللغة العربية والعمل على نقد بعض هذه الآراء انطلاقا من النتائج التي توصل إليها في معالجة لقضايا اللغة العربية"[18].

ولو تتبعنا جهود الفهري في إطار اللسانيات التوليدية فسنجدها تبتدئ مع كتابه الأول (اللسانيات واللغة العربية: نماذج تركيبية ودلالية) الصادر سنة 1985م عن دار توبقال وأعيد طبعه بعد ذلك مرات عدة ، وتناول في هذا الكتاب قضيتين أساستين ؛ أولاهما في نقد وضع اللغة العربية ثقافيا ، وكيف أنها متأخرة عن ركب مواكبة جديد النظريات اللسانية الحديثة ، فلم يطرأ على معجمها تغير كبير ، ونحوها لم يزل على النحو الذي وضعه سيبويه في القرن الثاني الهجري ، وعليه فاللساني العربي مطالب لا بإعادة النظر في تصوّر طبيعة اللغة العربية وما بتعلق بها فحسب ، بل هو مطالب كذلك بالبحث في الوسائل الكفيلة بجعل اللغة العربية لغة وظيفية[19].

وأما القضية الأخرى التي عالجها الفهري في كتابه الأول فتتعلق بجملة من القضايا في اللغة العربية ؛ حيث تناولها من منظور توليدي ، لم يألُ فيها جهدا في مراجعة ونقد آراء تشومسكي نفسه مع تقديم آرائه التي يراها الأصوب في تحليل ودراسة بعض الظواهر.

وفي سنة 1990م أصدر الفهري كتابه الموسوم (البناء الموازي: نظرية في بناء الكلمة وبناء الجملة) ، الذي يرى أنه "ينسج مبادئ بناء الكلمة العربية ، ما هو كليّ فيها وما هو خاص أو موسّط (parametrized) نعيّن وسائط محددة معقولة ، وننسج قواعد وضوابط التركيب ، وملامح الذوات التركيبية والمعجمية. كل شيء يسير في اتجاه القولبة ، وفرز المعلومات والظواهر عن بعضها بعضا ، بهدف المعالجة الملائمة"[20].

ومواكبة لمستجدات اللسانيات التوليدية نجد الفهري يؤلف كتابه (ذرات اللغة العربية وهندستها: دراسة استكشافية أدنوية) ، سنة 2010م ، وذلك "سعيا منه إلى مواكبة التغيرات السريعة في الدرس اللساني واستثمار ما تتوصل إليه اللسانيات التوليدية الدلالية على وجه الخصوص بين الفينة والأخرى ، وقد ضمن الكتاب بعضا من التحاليل والنتائج التي توصل إليها في أبحاثه وإسهاماته باللغة الإنجليزية معالجا من خلالها موضوعا جديدا يتعلق بذرات الأسماء وذرات الأحداث والأفعال وتركيباتها وسماتها وعلائقها وهندستها ، ويسائل التمثلات النظرية والتحاليل المقترحة لمثل هذه الإشكالات في لغات أخرى ، ويقترح تحاليل مستدلا على نجاعتها ، مقارنة بتحاليل أخرى"[21].

وهكذا يمكن أن تبين شيئا من جهود عبد القادر الفاسي الفهري في إطار اللسانيات التوليدية التحويلية ، التي حاول من خلالها تقديم إضافة تجديدية في اللغة العربية ، وذلك عن طريق تبني المنهج التوليدي إطار للاشتغال على المقولات النظرية والمنهجية ، غير إن محاولاته كانت تتسم بالتوجه النقدي والمراجعة للأسس النظرية ومدى الملاءمة قبل التطبيق ، وهو ما يجعل جهوده في هذا المجال معتبرة وجديرة بالاهتمام والدراسة.

3-2-جهود أحمد المتوكل في إطار اللسانيات الوظيفية:

تعتبر اللسانيات الوظيفية ممثلة بنظرية النحو الوظيفي إحدى أهم الحقول اللسانية النظرية التي أفادت منها اللغة العربية خصوصا في الجانب التعليمي ، ذلك أنها في مفهومها الكلي تحاول معالجة اللغة بعدها وسيلة وظيفية للتواصل ، تتجاوز مستوى البنية المغلقة لتنفتح على آفاق أوسع كالسياق التخاطبي ، وأحوال المتخاطبين ، ومتعلقات التداول اللغوي عموما.

ويقوم أساس النحو الوظيفي على "مجموعة القواعد التي تؤدي للوظيفة الأساسية للنحو [التي] هي الوظيفة التواصلية وهي شقان اثنان: شق إنتاج يتمثل في ضبط الكلمات ونظام تأليف الجمل ليسلم اللسان من اللحن أثناء النطق ، ويسلم القلم من الخطأ عند الكتابة ، وشق تأويل يتمثل في فهم المنطوق والمكتوب"[22].

فيظهر من هذا أن النحو الوظيفي في أصل وضعه جاء خدمة للوظيفة التواصلية التي تؤديها اللغة ، وقد انعكس هذا على جميع مناحي النظرية ومبادئها ، وقد يلاحظ مما سبق مدى التقارب في الغاية والهدف بينه وبين النحو القديم الذي هو محل عناية المتخصصين ، وسبب ذلك هو أن النحو الوظيفي "وسيلة لفهم النحو التخصصي ؛ فمن لديه إلمام بالنحو الوظيفي سهل عليه التوسع في أبواب النحو المتشعبة ووسائله المترابطة"[23].

وعلى هذا الأساس قامت جهود أحمد المتوكل الذي تبنى المنهج الوظيفي في أعماله اللسانية تبعا للتوجه الذي أسسه سيمون ديك (Simon Dik)، ويمكن أن نلحظ ملمحا رئيسيا يميز هذه الأعمال وهي توجهها نحو وضع قاعدة متينة يمكن على أساسها إجراء عدة محاولات إصلاحية في منظومة اللغة العربية لاسيما التعليمية منها.

ولإظهار هذه الفائدة العملية لجهود المتوكل نورد ما قرره من مبادئ النحو الوظيفي المنهجية وكيف يمكن الاستفادة منها في تعليم اللغة العربية ، حيث يمكن أن نلخص أهم المبادئ التي يقوم عليها النحو الوظيفي كما قرره المتوكل فيما يلي:

- وظيفة اللغات الطبيعية الأساسية هي وظيفة التواصل.
- تتعالق وظيفة اللغات الطبيعية وبنيتها ؛ بحيث تحدد الأولى خصائص الثانية (جزئيا على الأقل).
- تستهدف اللسانيات وصف القدرة التواصلية للمتكلم-المستمع.
- يدرس التركيب والدلالة في إطار التداول.
- يسعى الوصف اللغوي إلى تحقيق كفايات ثلاث: الكفاية النمطية ، الكفاية النفسية ، الكفاية التداولية[24].

يظهر بادي الرأي أن المبادئ التي يقوم عليها النحو الوظيفي تتعلق أساسا بالجانب التوصيفي للغة أكثر من تعليميتها ، ولكن المنعم النظر في أعمال أحمد المتوكل يرى جليا الفائدة التطبيقية لهذه المبادئ المنهجية في تعليمية اللغة العربية ، ومن ذلك ما قدمه من مقترحات تعليمية بناء على المبادئ المنهجية السابقة ، ومنها:

- تتم عملية تعليم اللغات في مقابلة لغة المتعلم باللغة المراد تعلمها.
- تعليم لغة ما في التدريس ، يستدعي فحص ظواهر عامة تجمع خصائص وظيفية دلالية وتداولية كظاهرة التبئير مثلا.
- تحسيس المتعلم بما يؤالف وبما يخالف بين لغته الأصلية واللغة التي يتعلمها ، وهذا مضمون الكفاية النمطية.

فهذه المقترحات على جدتها وقابليتها للأجرأة فإنه يشترط لبلوغها أهدافها التعليمية شرطان:

- ضبط إواليات النحو الوظيفي: [من] مفاهيم ، وأدوات اشتغال...
- التعامل الشمولي مع الظواهر الدلالية والتداولية التي يتم فحصها[25].

يظهر جليا مما سبق المنظور الخاص الذي يعتمده النحو الوظيفي في مقاربة الظاهرة التعليمية؛ فهو يتناولها في شموليتها، ويربط كل الظواهر النحوية بالغاية التواصلية الأساسية للغة (التواصل)، معتمدا مفهوم الكفايات المتدرجة والمتعالقة فيما بينها بحيث يكون المتعلم في النهاية قادرا على توظيف البنيات اللغوية المختلفة من تركيب ، ودلالة ، وتداول لبلوغ درجة الفهم والإفهام ، والبيان والتبيين.

ومن هنا تظهر مثلا أهمية مبدأ تبعية البنية للوظيفة في النحو الوظيفي تعليميا ، ويتجلى ذلك "خاصة في تعليم القواعد لغير الناطقين باللغة العربية؛ فقد سعت نظرية النحو الوظيفي إلى وصف الملكة التبليغية لدى المتكلم/السامع وتفسيرها ، فهي لا تقف عند حدود البنية ، بل تتعداها إلى السياقات التواصلية"[26].

وهكذا يظهر جزء من جهود أحمد المتوكل في إطار نظرية اللسانيات الوظيفية وكيف كانت محاولاته في إثراء الإطار النظري والإجرائي للنحو الوظيفي ، والذي انعكس إيجابا على حقول معرفية مهمة كحقل تعليمية اللغات ، الذي أفاد أيما إفادة من هذه النظرية كما هو معمول به في كتب الجيل الثاني في المنظومة التربوية الجزائرية.

4-خاتمة:

نأتي إلى ختام هذا البحث الذي خصصناه لمعالجة موضوع اللغة العربية في اللسانيات الغربية ، وذلك من خلال قراءة مقتضبة موجزة في أهم جهود اللسانيين العرب ومنجزاتهم ، والذين صنفناهم تبعا لطبيعة جهودهم إلى صنفين: أولهما الجهود التأصيلية وأوردنا لها

نموذجين هما عبد الرحمن الحاج صالح ، ومحمد الأوراغي ، والآخر الجهود التكميلية مع عبد القادر الفاسي الفهري ، وأحمد المتوكل ، ونوجز فيما يلي بعض النتائج التي خلصنا إليها:

- تعتبر النظرية الخليلية الحديثة التي رائدها عبد الرحمن الحاج صالح نظرية جديرة بالاهتمام والدراسة الجادة ، ذلك أنها مبنية على أسس منهجية ونظرية تخولها لتكون نظرية عالمية لا تقل شأنا عن مثيلاتها عند الغرب.
- تعد اللسانيات النسبية محاولة جادة في إعادة النظر للموروث اللغوي ، وإعادة القراءة للمستجد اللساني ، مع اقتراح البديل الذي يُرَى أنه كفيل بحل جملة المشكلات والعقبات التي تواجه البحث اللساني المعاصر ، وذلك من خلال البناء الإبستمولوجي المحكم ، والانفتاح على التجديد دون خوف على الموروث الماضي أو انبهار بالمطروح الجديد.
- قدمت محاولات عبد القادر الفاسي الفهري إضافة جادة للبحث اللساني التوليدي التحويلي ، وذلك من خلال التلقي الواعي والناقد للسانيات تشومسكي ، حيث لم يمنعه تبنيه لإطارها المنهجي والنظري من إعادة النظر في كثير من مقولاتها ، وإخضاعها لشرط الملاءمة للغة العربية ، وهذا ما مكنه من إثراء النظرية نفسها ، فكانت جهوده مثلا للتلقي الإيجابي الذي ينبغي أن ينتهجه اللسانيون العرب.
- شكلت جهود أحمد المتوكل في إطار اللسانيات الوظيفية اتجاها قائما بذاته في الأدبيات اللسانية العربية ، حيث عمل على قراءة نظرية النحو الوظيفي التي جاء بها سيمون ديك بوعي وبحس نقدي فعّال ، وهذا ما أهله لوضع لبنات التوجه الوظيفي في اللسانيات العربية ، مع ما صاحب محاولاته من إيجابيات انعكست على حقول شتى ، لاسيما حقل تعليمية اللغة العربية.

5-مصادر البحث ومراجعه:

- عبد الرحمن الحاج صاح ، سلسلة كراسات المركز ، العدد الرابع ، مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية ، ط1 ، الجزائر ، 2007.
- التواتي بن التواتي ، المدارس اللسانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث ، دار الوعي للنشر والتوزيع ، ط1 ، الجزائر ، 2012.
- محمد الأوراغي ، نظرية اللسانيات النسبية: دواعي النشأة ، منشورات الاختلاف ، ط1 ، الجزائر ، 2010.
- حافظ إسماعيلي علوي ، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، ط1 ، لبنان ، 2009.
- عبد القادر الفاسي الفهري ، اللسانيات واللغة العربية: نماذج تركيبية ودلالية ، دار توبقال ، ط1 ، المغرب ، 1985.

- عبد القادر الفاسي الفهري ، البناء الموازي: نظرية في بناء الكلمة وبناء الجملة ، دار توبقال ، ط1 ، المغرب ، 1990.
- علي آيت أوشان ، اللسانيات والبيداغوجيا نموذج النحو الوظيفي ، ط1 ، دار الثقافة ، المغرب ، 1998.
- مصطفى العادل ، اللسانيات التوليدية وأثرها في الدرس اللساني بالمغرب ، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب ، جامعة المسيلة ، الجزائر ، 2019 ، المجلد: 03 ، العدد: 02.
- نوال حامد ، ملامح النحو الوظيفي في كتاب الجيل الثاني للغة العربية السنة أولى من التعليم المتوسط ، مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية ، مركز جيل البحث العلمي ، لبنان ، ديسمبر 2017 ، العدد 36.
- سرى مؤيد فاضل ، حسن خلباص الزاملي ، أثر نظرية النحو الوظيفي ودورها في اللغة العربية ، مجلة بحوث الشرق الأوسط ، مركز بحوث الشرق الأوسط والدراسات المستقبلية – جامعة عين شمس - مصر ، نوفمبر 2019 ، العدد: 52.
- عبد الوهاب صديقي ، النحو الوظيفي وديداكتيك اللغة العربية ، مجلة علوم التربية ، المغرب ، 2014 ، العدد: 59.
- محمد سيد ، أثر النحو الوظيفي في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الفيوم - مصر ، 2021 ، مج: 13 ، العدد: 2.

6-الهوامش والإحالات:

[1] - عبد الرحمن الحاج صاح ، سلسلة كراسات المركز ، العدد الرابع ، مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية ، ط1 ، الجزائر ، 2007 ، ص42.
[2] - المرجع نفسه ، ص5.
[3] - المرجع نفسه ، ص5.
[4] - التواتي بن التواتي ، المدارس اللسانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث ، دار الوعي للنشر والتوزيع ، ط1 ، الجزائر ، 2012 ، ص6.
[5] - عبد الرحمن الحاج صاح ، سلسلة كراسات المركز ، مرجع سابق ، ص5.
[6] - محمد الأوراغي ، نظرية اللسانيات النسبية: دواعي النشأة ، منشورات الاختلاف ، ط1 ، الجزائر ، 2010 ، ص194-195.
[7] - ينظر: المرجع نفسه ، ص194.
[8] - ينظر: المرجع نفسه ، ص194.
[9] - ينظر: المرجع نفسه ، ص195.
[10] - المرجع نفسه ، ص9.
[11] - المرجع نفسه ، ص9.
[12] - ولعله يقصد: المطلق.
[13] - المرجع نفسه ، ص253.
[14] - ولعله يقصد: البنيوية ؛ للتبعية (وإن كنا نرى أن الأصح أن يقال: البنوية نسبة إلى البنية).

[15] - المرجع نفسه ، ص253.

[16] - المرجع نفسه ، ص253-254

[17] - حافظ إسماعيلي علوي ، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، ط1 ، لبنان ، 2009 ، ص262.

وأورده: مصطفى العادل ، اللسانيات التوليدية وأثرها في الدرس اللساني بالمغرب ، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب ، جامعة المسيلة ، الجزائر ، 2019 ، المجلد: 03 ، العدد: 02 ، ص300.

[18] - مصطفى العادل ، اللسانيات التوليدية وأثرها في الدرس اللساني بالمغرب ، مرجع سابق ، ص300.

[19] - ينظر: عبد القادر الفاسي الفهري ، اللسانيات واللغة العربية: نماذج تركيبية ودلالية ، دار توبقال ، ط1 ، المغرب ، 1985 ، ص7.

[20] - عبد القادر الفاسي الفهري ، البناء الموازي: نظرية في بناء الكلمة وبناء الجملة ، دار توبقال ، ط1 ، المغرب ، 1990 ، ص9.

[21] - مصطفى العادل ، اللسانيات التوليدية وأثرها في الدرس اللساني بالمغرب ، مرجع سابق ، ص302.

[22]- نوال حامد ، ملامح النحو الوظيفي في كتاب الجيل الثاني للغة العربية السنة أولى من التعليم المتوسط ، مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية ، مركز جيل البحث العلمي ، لبنان ، ديسمبر 2017 ، العدد 36 ، ص109.

[23]- سرى مؤيد فاضل وحسن خلباص الزاملي ، أثر نظرية النحو الوظيفي ودورها في اللغة العربية ، مجلة بحوث الشرق الأوسط ، مركز بحوث الشرق الأوسط والدراسات المستقبلية – جامعة عين شمس - مصر ، نوفمبر 2019 ، العدد: 52 ، ص151.

[24]- علي آيت أوشان ، اللسانيات والبيداغوجيا نموذج النحو الوظيفي ، ط1 ، دار الثقافة ، المغرب ، 1998 ، ص49-50 [بتصرف].

[25]- عبد الوهاب صديقي ، النحو الوظيفي وديداكتيك اللغة العربية ، مجلة علوم التربية ، المغرب ، 2014 ، العدد: 59 ، ص135-136.

[26]- محمد سيد ، أثر النحو الوظيفي في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الفيوم - مصر ، 2021 ، مج: 13 ، العدد: 2 ، ص659.